الدرس 3:

المدرسة التاريخية الإغريقية

(عوامل نشأة و تطور الكتابة التاريخية)

مفهوم المدرسة التاريخية:

تمثل المدرسة التاريخية حالة من الكتابة التاريخية بقواعد المنهج (التحقيق و النقد و المقارنة) و أساليب المعرفة المتمثلة في مختلف القوانين و النواميس المتحكمة في الظواهر و الأحداث و الوقائع و ما يرافق هذه الأساليب من علوم معينة على الفهم والتفسير ، و التي تمنح في حالة تظافرها للتاريخ صفة العلموية و الصبغة الفلسفية ، ولا يتم ذلك سوى عبر التراكم في الكتابة التاريخية من جيل إلى آخر في خضم حالة حضارية مزدهرة بالعلوم و القوة العسكرية تبرهن في مجملها على حالة واسعة من الوعي بتاريخية المعرفة البشرية وتكشف عن الغايات المتنوعة لهذا التراكم من الكتابة التاريخية .

عوامل نشأة و تطور الكتابة التاريخية عند الإغريق :

على الرغم من أن تاريخ بداية الحضارة الإغريقية يعود إلى 1125ق.م ، إلا أن ميلاد الكتابة التاريخية النثرية لم يحصل عندهم قبل القرن السادس قبل الميلاد ، كما لم يكن لديهم حينها فكرٌ ناقدٌ يعارض الأساطير الشائعة أو يثير الإهتمام بالأنظمة الإجتماعية .

و منذ القرن السادس قبل الميلاد وإلى عصر بوليبيوس في القرن الثاني قبل الميلاد تظافرت جملة من الظروف العسكرية و السياسية و التجارية و الثقافية و الفكرية و الاجتماعية دفعت إلى ظهور الكتابة التاريخية النثرية و ذلك حينما أدخل **الكاتب كاداموس** في بداية القرن السادس قبل الميلاد إلى مدينة ملطية في ايونيا طريقة الكتابة النثرية بدلا من الشعر الذي جسد و منذ القرن الثامن قبل الميلادي ملاحم الإغريق و أساطيرهم المتشبثة باللآلهة .

غير أن إمتلاك الإغريقيين للكتابة النثرية لم يكن كافيا من أجل الوصول إلى كتابة تاريخية تتضمن عناصر القواعد المنهجية و المبادئ المعرفية التي تحقق للخبر التاريخي عقلانيته و تلم بظروفه و أبعاده و تفسر المغزى من حدوثه ، و كل ذلك لم يكن ممكنا لولا جملة من الظروف و العوامل .

أ/الإستعمار الفارسي لإيونيا :

أدى دخول أيونيا بآسيا الصغرى في نطاق الإمبراطورية الفارسية إلى اتساع أفق الثقافة لدى الإغريق الأيونيين الذي أثار إهتمامهم حضارات الشعوب المنضوية تحت الاستعمار الفارسي (هاري إلمر بارنز : تاريخ الكتابة التاريخية ،ج1 ،ص49.)، فقد أيقضت الحروب الفارسية عند الإغريق الإهتمام بخصائص و طبيعة حضارات منطقة الشرق الأدنى و من ثم صار كل كاتب إغريقي يربط بين وصف الثقافات الشرقية و بين العمل الوطني المجيد الذي قام به الإغريق ضد الفرس يعد عملا يجلب العدد الوفير من القراء المتجاوبين معه (هاري إلمر بارنز : تاريخ الكتابة التاريخية ،ج1 ،ص49) ، و إذا كان من نتائج الإحتلال الفاريسي لأيونيا احتكاك المؤرخيين بالثقافة الشرقية بإن قيام الإمبراطورية الإسكندرية و سيادة الإمبراطورية الرومانية في كل مكان أي في عوالم من البحار و البراري ، قد وضع المهتمين و المثقفين

و رجال الحرب و السياسة و رجال الأعمال أمام حقول لم يخطط له امن قبل على حد تعبير بوليبيوس 230-180ق.م ، ومنها الجغرافيا التي كانت علما تشوبه الأخطاء حتى أن بوليبيوس نفسه وعد بتدريب طلبة جادين في هذا الاختصاص الملح الذي باتت الإمبراطورية الرومانية في أمس الحاجة إليه (أرلوند توينبي : الفكر التاريخي عندالإغريق) .

كما أن الوقائع و الأحداث الحربية الجسام التي وقعت في المدة الزمنية من القرن الخامس قبل الميلاد إلى نهاية القرن الأول قبل الميلاد في شرق البحر المتوسط و غربه أي من الحروب الميدية بين الفرس و الإغريق التي أرخ لها هيرودوت إلى آخر حروب قرطاجنة ضد الرومان 150-149 ق.م . كانت الملهم بالنسبة للمؤرخين الإغريق في انجاز أفضل الكتاب التاريخية ، و حسبنا تعليق بوليبيوس على موضوع الحرب القرطاجية الرومانية الأخيرة قوله **:" لن يكون من السير أن نجد موضوعا أكثر أهمية من الموضوع الراهن"** (توينبي : الفكر التاريخي ، ص227)، بل أن روما كانت ملهمته في انجاز كتابه التاريخ العام في أربعين جزءا و من خلالها تمكن من الإطلاع على شؤون الشعوب المرتبطة بالإحتلال الروماني و في هذا السياق يقول أرلوند توينبي : **" لقد مكنت رقعة روما السياسية المؤرخين الرومانيين بشكل لا مثيل له ، من أن يجمعوا شؤون العالم و يربطوا مصيرهم بمصير دولتهم "**(الفكر التاريخي ،ص12).

ب/الحركة الفكرية والعلمية :

ساهمت العلاقات التجارية التي كان يقوم بها الأيونيون و الإغريق الإيجيون مع شعوب الشرق في تطوير روح النقد و نمو الفلسفة و الأدب و الكتابة التاريخية و من مظاهرها :

ان ظهور الفلسفة الأيونية التأملية بايونيا و ما جلبته على الفكر و الفلسفة النقدية قد اتسعت مشاربه إلى المدن الإغريقية الأخرى مثل ملطية ، لاميا سكوس ، كارياند ،سيراكيوز ، لسبوس ، فضلا على نشاط تيار السفسطائيين الذين أثروا بنزعتهم في الشك على عقول المؤرخين و في مقدمتهم كل من هيرودوت و ثوكوديدس. و كل ذلك حرك الكُتاب نحو الإهتمام بأساليب الكتابة و البلاغة و دراسة الجغرافيا و علم وصف الاجيال و السلالات و دراسة الإنسان و هي كلها بمثابة البذور في أصول الكتابة التاريخية عند الإغريق .

و إلى جانب ذلك لفت المؤرخ البريطاني أرلوند توينبي انتباهنا إلى أن نشوء الكتابة التاريخية و تطور مناهجها و أساليبها غير منفصل عن الإزدهار الذي عرفته الحضارة الهيلينية في الشعر و العلوم العقلية و الطبية الذي كان المؤرخون مساهمين فيه بكتاباتهم ، فالمؤرخ الهيليني هو الشاعر و الفيلسوف و الطبيب و الأديب و الانثروبولوجي و عالم االطبيعة و رجل الأعمال و السياسي الحاذق و العسكري الصلب ، و بالتالي فإن مادة الكتابة التاريخية الإغريقية هي الشعر و الفلسفة الأفلاطونية و الأدب الطبي للمدرسة الأبوقراطية hippocrates(تونبي : الفكر التاريخي ، ص ص 14، 15) .

ج/ الرحلة غلى الشرق و الغرب :

شكلت رحلات المؤرخين الإغريق إلى الشرق القديم و اوروبا و غرب البحر المتوسط و المحيط الأطلنطي أحد المصادر المهمة في معاينة الظواهر و التحقق من صحة الروايات و المعطيات الطبيعية و العمرانية و السكانية و الجغرافية و الممارسات الثقافية و الحضارية ، مما أعطى لأعمالهم التاريخية مصداقية كبيرة ووفرة مميزة في تنوع الموضوعات التي كتبوا فيها **"لذلك ظل تأثير الهيلينية في مجال**

التاريخ و غيره من المجالات ، يشع في نطاق أوسع من اللغة اليونانية و من الجنس اليوناني " (تونبي : الفكر التاريخي ،ص 13) ، فقد قام هيكاتايوس (ولد 550 ق.م) و هو أول مؤرخ إغريقي بأول رحلة إلى مصر ، و التي لم تكن تخلو من أهمية كما سنوضحه لاحقا في هذا الدرس ، و على خطاه قام هيرودوت 425-384ق.م برحلات متعددة إلى مصر و شرق بابل و سواحل البحر الأسود فضلا على بلاد الإغريق و صقلية و ايطاليا التي استقر بها و كان خلالها يسال الناس و يزور الآثار و يقف على العادات والقوانين و نظم الحكم و الديانات و يحاور المؤرخين كما حدث له في مصر مع الكهنة ، لذلك تمكن من أن ينقل في كتابه الابحاث صورة عن حياة مائتين من الشعوب المختلفة في الديانة و نظم الحكم، فكانت هذه المادة الاجتماعية و الإنثروبولوجية أكثر طرافة من محور الحروب الميدية الذي كان فيه أضعف ما يكون كراوية للتاريخ الحربي (هاري إلمر : الكتابة التاريخية ،ج1 ، ص 50).

ناهيك على رحلات بوليبيوس في أفريقيا و اسبانيا و بلاد الغال و شطئان المحيط الأطلسي ، متقصيا و مصححا لأخطاء الذين سبقوه و حسبنا قوله :" **إن سائر كتاب التاريخ تقريبا أو الاغلبية ....سعو إلى وصف وضعية البلدان التي تقع على حدود العالم المأهول المعروف لدينا و خواصها ووقعت الأغلبية في عملها هذا في أخطاء لا حصر لها** " (توينبي : الفكر التاريخي ، ص 222).

د/ حركة التأليف المبكر في الكتابة التاريخية بالمدن الإغريقية :

و هي الكتابة التاريخية التي سبقت عهد هيرودوت 425 -384 ق.م و تحديدا حلال منتصف القرن الخامس قبل الميلاد و شكلت الأرضية الأولى لتواريخ السير والحروب و الشعوب و مهدت الطريق في التمييز بين الأساطير و الحقائق و هي في مجملها اتصفت بالحيوية ومن بوادرها ان المؤرخ هيكاتاتيوس(ولد 550 ق.م) أحد مواطني مدينة ملطية الشهيرة برجالها في النثر و النقد قد ألف كتابان **"تاريخ الملوك القدامى "**و**"كتاب الأنساب "** و فيهما جعل الحقيقة مقياس في ضبط الروايات و أضفى عليها اتجاها نقديا صريحا تجاه الاساطير اليونانية التي دارت حول نشأة الخلق

وكذلك في كتابه الأنساب génealogies اقترب من النقد التاريخي اقترابا شعوريا يعكس ذلك قوله في إحدى الفقرات "**إن ما أدونه هنا هي الرواية التي اعتبرها صادقة و حقيقية ، لان قصص الإغريق عديدة و هي في رأي تبعث على السخرية** "(هاري إلمر : تاريخ الكتابة التاريخية، ص49) .

و إلى جانب ذلك قام المؤرخان شارون بمدينة لاميكا سيكوس و ديومنسيوس بمدينة ملطية خلال منتصف القرن الخامس قبل الميلاد بجمع تواريخ فارس ، كما وضع سكيلاس الذي ينتمي إلى مدينة كارياندا أول سيرة تاريخية ن و ألف انطيوخس الذي تنتمي إلى مدينة سيراكيوز **اول تاريخ لشعوب اليونان** في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ناهيك على جهود المؤرخ هيلانيكوس 479ق.م في **كتابه تاريخ فارس و اليونان** من وجهة نظر اجتماعية ، و كان أول مؤرخ اعترف بضرورة وجود نظام شامل للتسجيل التاريخي كما كتب في **تاريخ الإيتيك** و هو في تاريخ مدينة أثينا "(هاري إلمر : تاريخ الكتابة التاريخية، ص49).